١١. تفسير غريب القرآن الكريم(*)
فى ضوء الحديث الشريف

فى البحث السابق بينت أن غريب القرآن الكريم مرّ تفسيره وتوضحيه بمراحل مختلفة. وأول مرحلة من مراحل توضحيه بدأت فى عده الرسول ﷺ حينما وضح لأصحابه ما خفى عليهم من ألفاظه، وما استتر من معانيه.

والمرحلة الثانية: تمثلت فى توضيح غريب القرآن بالقرآن، وقد سقت الأمثلة المتعددة التى توضح هذه المرحلة.

أمّا المرحلة الثالثة فى مراحل توضيحه فهى موضوع هذا البحث؛ وهو تفسير غريب القرآن الكريم فى ضوء الحديث الشريف.

وقبل أن نبدأ فى دراسة هذه المرحلة لابد من أن نتعرض للخطوط العريضة فى حقل دراسات الحديث الشريف لتتبيّن على هديها كيف كان الحديث الشريف مصدراً لغويا إلى جانب كونه مصدراً تشريعياً يلى القرآن الكريم فى نوره وهدايته.

الحديث الشريف فى مجال التوثيق:

هناك أحاديث كثيرة تبينّ أن النبى ﷺ ـ صيانة للقرآن حتى لا يختلط به ما ليس منه ـ نهى أصحابه عن كتابة أحاديثه.

ومن هذه الأحاديث الصريحة فى النهى ما رواه أبو سعيد الخدرىّ أن النبى ﷺ قال: «لا تكتبوا عنّى شيئا سوى القرآن، فمن كتب عنى شيئا فليمْحُه»(١).

وعن أبى سعيد الخدرى أيضاً قال: «استأذنت النبّى ﷺ أن أكتب الحديث فأبى أن يأذن لى»(٢).

(*) نشر فى مجلة: «التضامن الإسلامى» - السنة الحادية والأربعون - الجزء الثانى

(١) تقييد العلم للخطيب البغدادى/ ٢٩.

(٢) المصدر نفسه.

ويروى الخطيب البغدادى عن أبى هريرة قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نكتب الأحاديث، فقال: ما ذا الذى تكتبون؟ قلنا: أحاديث سمعناها منك قال: أكتابا غير كتاب الله تريدون؟ ما أضل الأمم من قبلكم إلاّ ما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله» قال أبو هريرة: أنتحدث عنك يا رسول الله؟ قال: نعم تحدثوا عنى ولا حرج، فمن كذب على متعمّدا فليتبوّأ مقعده من النار»(١).

على أن هناك أحاديث أخرى تبيح الكتابة، ولا تمنع التقييد سجّلها الرواة.

ومن هذه الأحاديث ما يأتى:

عن أبى هريرة قال: «ما أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً منى إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب»(٢).

عن مجاهد أنه قال: «رأيت عند عبدالله بن عمرو صحيفة فسألته عنها، فقال: هذه الصادقة، فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ وليس بينى وبينه فيها أحد»(٣).

فى ضوء هذه الأحاديث أستطيع أن أقول: إن النبى ﷺ حرص كل الحرص على سلامة النص القرآنى حتى لا يتسرب إليه شىء من كلام البشر كى لا تضل أمته، ويبقى كتاب ربها مصوناً من التحريف، مبرّأ من الخطأ، محصّنا بسياج منيع من الدقة والعناية والرعاية والضبط والإتقان.

والسؤال الذى يتطلبه الموقف هنا. أليس فى هذه الأحاديث تناقض؟ كيف يجيز النبى ﷺ الكتابة لجماعة من الصحابة، ، ويمنعها عن جماعة أخرى؟

فى الحقيقة نحن نُبرّىء كلام رسول الله ﷺ من التناقض، فالمواقف تتغير، ولكل موقف ما يناسبه من القول، فالنهى فى رأيى خاص بهؤلاء الذين لا يميزون بين كلام الله تعالى، وكلام الرسول، وأصحاب رسول الله ﷺ ليسوا على درجة واحدة فى مستوى الكتابة، فحتى لا يفتح الباب على مصراعيه، ويتعدّد الكاتبون، منع الرسول ﷺ الكتابة منعاً عاما، ورخصها لقوم أتقنوها وأجادوها، فهم مأمونون من الخلط بين قول الله تعالى وقول الرسول ﷺ.

(١) تقييد العلم للخطيب البغدادى/ ٢٩.
(٢) الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ٤/ ١١٢.
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٨٩.

على أن ابن قتيبة فى كتابه «تأويل مختلف الحديث» تعرض لهذا التناقض مدلّلاً على أن كلام رسول الله ﷺ لا تناقض فيه لأنه كلام معصوم لا ينطق عن الهوى.

قال ما نصه: «قالوا: أحاديث متناقضة.

قالوا: رَوَيْتُم عن همام عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرىّ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكتبوا عنى شيئاً سوى القرآن. فمن كتب عنى شيئاً فليمحه».

ثم رويتم عن ابن جريج عن عطاء عن عبدالله بن عمرو قال: قلت يا رسول الله: أقيد العلم؟ قال: نعم، قيل: وما تقييده؟ قال: كتابته.

ورويتم عن حَماد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن شعيب عن جده قال: قلت يا رسول الله: أكتب كل ما أسمع منك؟ قال: نعم. قلت: فى الرضا والغضب؟ قال: نعم، فإنى لا أقول فى ذلك كله إلا الحق.

قالوا: وهذا تناقض واختلاف.

ويرد ابن قتيبة على هذه الدعوى الباطلة بقوله:

قال أبو محمد، (كنية ابن قتيبة): ونحن نقول: إن فى هذا معنيين:

أحدهما: أن يكون منسوخ السنة بالسنة، كأنه نهى فى أول الأمر عن أن يُكتب قولُه.

ثم رأى بعد ما علم أن السنن تكثر - وقد تفوت بالحفظ- أن تكتب وتقيّد.

والمعنى الآخر: أن يكون خص بهذا عبدالله بن عمرو، لأنه كان قارئا للكتب المتقدمّة، ويكتب بالسّريانية والعربية، وكان غيره من الصحابة أميين لا يكتب منهم إلا الواحد والاثنان، وإذا كتب لم يُتقن، ولم يصب التهجى، فلما خشى عليهم الغلط فيما يكتبون نهاهم، ولما أمن على عبدالله بن عمرو ذلك أذن له»[1].

※ وحقيقة لقد أصاب ابن قتيبة المحزَ فى الرد الصائب، والإجابة المقنعة.

ونضيف إلى رأى ابن قتيبة رأيا آخر لا يقل وجاهة عنه وهو رأى الحسن بن عبدالرحمن الرامهرزى المتوفى نحو سنة ٣٦٠هـ حيث يقول فى معرض الرّد على هذه الدعوى الكاذبة

(١) تأويل مختلف الأحاديث لابن قتيبة.

دعوى الاختلاف والتناقض: «إنما كره الكتاب من كره من الصدر الأول لقرب العهد، وتقارب الإسناد، ولئلا يعتمده الكاتب فيهمله، ويرغب عن حفظه والعمل به، فأما والوقت متباعد، والإسناد غير متقارب، والطرق مختلفة، والنقلة متشابهون، وآفة النسيان معترضة، والوهم غير مأمون، فإن تقييد العلم بالكتاب أشفى وأولى، والدليل على وجوبه أقوى.

وحديث أبى سعيد «حرصنا على أن يأذن لنا النبى ﷺ فى الكتاب فأبى، فأحسبه أنه كان محفوظاً فى أول الهجرة، وحين كان لا يؤمن الاشتغال به عن القرآن»(١).

* على أن الخطيب البغدادى فى كتابه «تقييد العلم» بين لنا أنّ السبب فى عدم كتابة الحديث فى الصدر الأول يرجع إلى خوف الاتكال على الكتابة، فيؤدى ذلك إلى نقص الحفظ، وفى نقص الحفظ إهمال لحديث رسول الله ﷺ، فعلى الذاكرة أن تعيه، وعلى الحافظة أن تستوعبه حتى يتلقاه الخلف عن السلف مأموناً من التحريف، مصوناً من التبديل.

قال البغدادى: «وكان غير واحد من السلف يستعين على حفظ الحديث بأن يكتبه ويدرسه من كتابه، فإذا أتقنه محا الكتاب خوفاً من أن يتكل القلب عليه، فيؤدى ذلك إلى نقصان الحفظ، وترك العناية بالمحفوظ»(٢).

على أن هناك من ندم من الصحابة على محو ما كتب من أحاديث، فعن عروة بن الزبير قال: كتبت الحديث ثم محوته، فوددت أن أفديه بمالى وولدى وأنى لم أمحه»(٣).

على أية حال كانت فإن كتابة الأحاديث كانت تسير جنباً إلى جنب مع حفظه واستيعابه. ولا شك أن التقاء المحفوظ بالمكتوب يؤدى إلى سلامة نص الحديث من التحريف والتصحيف والتبديل.

وأحب أن أختم هذه النقطة من البحث بما ذكره الدكتور صبحى الصالح فى كتابه المشهور: «علوم الحديث ومصطلحه» فى هذه القضية حيث يقول: «نهى رسول الله ﷺ عن

---

(١) المحدّث الفاصل ـ مخطوط بمكتبة الظاهرية ـ دمشق رقم ٤٠٠ حديث نقلاً عن مقدمة التحقيق لكتاب: «تقييد العلم للبغدادى.

(٢) تقييد العلم/ ٦٠.

(٣) المصدر نفسة والصفحة.

كتابة الأحاديث أول نزول الوحى مخافه التباس أقواله وشروحه وسيرته بالقرآن... ثم أذن بذلك إذناً عاماً حين نزل أكثر الوحى، وحفظه الكثيرون، وأمن اختلاطه بسواه فقال ﷺ: «قيدوا العلم بالكتاب».

وحفظ عنه صلوات الله عليه المنعُ من كتابة أحاديثه بوجه عام، لأن كلامه كان موجَهاً إلى عامة أصحابه، وفيهم الثقة والأوثق، والصالح والأصلح والضابط والأشد ضبطاً، والحافظ والأمتن حفظاً، وأذن فى الوقت نفسه لبعض أفرادهم إذناً خاصاً، لنظاهر الكتابة الحفظ إن كانوا ضابطين، أو تساعدهم على زيادة الضبط إن خيف نسيانهم، ولم يوثق بحفظهم، فكان إذنه لهؤلاء وأولئك أشبه بالاستثناء الذى خص به ﷺ نفرًا من أصحابه لأسباب وجيهة قدر أهميّتها تبعاً للظروف والأشخاص[1].

علوم الحديث:

واضح إذاً من هذه النصوص التى قدّمناها أن المسلمين منذ عهد رسول الله ﷺ حفظوا عن نبيهم كل أقواله وأفعاله وأحواله، وسيرته، لأنه الرسول المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى، وهو المبلغ عن ربه، والدّاعى إلى نوره، وهو المبين لما أنزل، الموضح لما شرع، وهو الذى أعلن فى حجة الوداع أن على المسلمين أن يبلغوا عنه: «فليبلغ الشاهد الغائب، فربّ مبلّغ أوعى من سامع».

وكانت هذه انطلاقة كبيرة انتشرت أنوارها فى الجزيرة العربية أوّلاً ثم أشرقت أنوارها فى أرجاء الدنيا بعد ذلك حينما حمل المسلمون الراية القرآنية وراية السنة النبوية تخفقان جنبا إلى جنب على ربوع الدنيا.

ولا أدل على عناية المسلمين بأحاديث نبيهم من هذا الجهد العظيم الذى قاموا به فى محيط دراستها إلى أن تكوّن من هذه الدراسة علم نضج واكتمل وهو علم الحديث يقول عنه ابن خلدون فى مقدّمته:

«وأمّا علوم الحديث فهى كثيرة متنوعة، لأن منها ما ينظر فى ناسخه ومنسوخه.. ومعرفة الناسخ والمسوخ من أهم علوم الحديث وأصعبها. قال الزهرى أعيا الفقهاء وأعجزهم أن

(١) علوم الحديث ومصطلحه / ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢.

يعرفوا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسُوخه.. وكان للشافعى رضى الله عنه فيه قدم راسخة.

ومن علوم الأحاديث النظر فى الأسانيد، ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السنن الكامل الشروط.

إلى أن يقول: ولهم فى ذلك ألفاظ اصطلحوا على وضعها لهذه المراتب المرتبة مثل: الصحيح، والحسن، والضعيف، والمرسل، والمنقطع، والمعضل، والشاذّ والغريب، وغير ذلك من ألقابه المتداولة بينهم، وبوّبوا على كل واحد منها، ونقلوا ما فيه من الخلاف لأئمة الشأن أو الوفاق، ثم النظر فى كيفية أخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة أو كتابة أو مناولة أو إجازة، وتفاوت رتبها وما للعلماء فى ذلك من الخلاف بالقبول والرّد.

إلى أن يقول: ثم عنى الحفاظ بمعرفة طرق الأحاديث وأسانيدها المختلفة.. وجاء محمد ابن إسماعيل البخارى إمام المحدثين، فى عصره، فوسع نطاق الرواية، وخرج أحاديث السّنة على أبوابها فى مسنده الصحيح.. ثم جاء مسلم بن الحجاج القشيرى ـ رحمه الله ـ فألف مسنده الصحيح، حذا فيه حذو البخارى، فى نقل المجمع على صحته، وحذف المتكرر منها، وجمع الطرق والأسانيد، وبوّبه على أبواب الفقه وتراجمه[1] إلخ.

شبهة زائفة:

بعد هذا العرض لهذا الجهد العظيم الذى قام به علماء الإسلام فى حقل الحديث الشريف دارسين باحثين باذلين كل ما فى وسعهم لتنقية الحديث مما علق به من أحاديث موضوعة أو ضعيفة أحب أن أوجه القارىء إلى أن يصم أذنيه عن الدعاوى المغرضة التى تدعو إلى عدم الاحتجاج بالأحاديث الشريفة لأنها «تسمّى فى اصطلاحات بعض الفنون ظنيّة الثبوت» أى أنها لم تثبت بالتواتر الموجب للقطع فى النقل.

وكبرت كلمة تخرج من أفواههم، إن يقولون إلا كذباً، وقد كفانا مئونة الرد على هؤلاء العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر فى مقدمة تحقيقه لكتاب «الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث» لابن كثير قال ردًا على الدعوى السابقة بما نصه: «وكان هذا اتباعا لاصطلاح لفظى [يقصد دعوى ظنية الثبوت] لا أثر له فى القيمة التاريخية لإثبات صحة الرواية، فما

(١) مقدّمة ابن خلدون من ص ٤٠٥ ـ ٤٠٧.

كل رواية صادقة يثق بها العالم المطلع المتمكن من علمه التصديق بها، واطمئنان القلب إليها أن تكون ثابتة ثبوت التواتر الموجب للعلم البديهى، وإلاّ لما صحّ لنا أن نثق بأكثر النقول فى أكثر العلوم والمعارف».

ثم يردّ أيضاً على فئة أخرى زعمت أن كل الأحاديث لا صحة لها ولا أصل، يقول: «ونبغ فى عصرنا هذا بعض النوابغ ممن اصطنعتهم أوربّا وادخرتهم لنفسها من المسلمين، فتبعوا شيوخهم من المستشرقين ـ وهم طلائع المبشرين ـ وزعموا كزعمهم أن كل الأحاديث لا صحة لها ولا أصل، وأنه لا يجوز الاحتجاج بها فى الدّين.

وبعضهم يتخطى القواعد الدقيقة الصحيحة، ثم يذهب يثبت الأحاديث وينفيها بما يبدو لعقله وهواه من غير قاعدة معينة، ولا حجة ولا بينة.

وهؤلاء لا ينفع فيهم دواء إلا أن يتعلموا العلم، ويتأدبوا بأدبه ثم الله يهدى من يشاء»[1]!.

الحديث النبوى فى ميزان الفصاحة والبلاغة:

يعتبر الحديث النبوى من حيث بلاغة التعبير، وجزالة اللفظ، وسمو المعنى، وحسن النظم، وجمال السبك فنّا أدبيًا يلى القرآن الكريم من حيث الدرجة والرتبة، ولا غرو فى ذلك فمحمد ﷺ وإن كان أميا لا يتلو كتابا، ولا يخط بيمينه حرفاً قد أوتى جوامع الكلم، وهى جوامع شحنت بما يدلّ على العقل الواسع، والفكر المتزن، والإدراك الكبير للثقافة والعلم.

وخير ما نسترشد به فى هذا المقام إجابته ﷺ المشهورة لأبى بكر الصدّيق رضى الله عنه حينما سأله مرّة فقال: لقد طفت فى العرب، وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك فمن أدّبك؟ قال: أدّبنى ربى فأحسن تأديبى».

ومن الحق أن نقول: إن محمداً ﷺ تربىّ فى رحاب القرآن، فأشرق كلامه، وسما أسلوبه، وعلت فصاحته مما جعله أبلغ العرب إلى جانب النشأة الأولى التى عاشها فى البادية حيث استرضع فى بنى سعد بن بكر «والبادية تطبع من يعيش فيها، ويحيا بها على سلائق فصيحة وألسنة ذليقة إلى عارضة شديدة، وبداهة عجيبة، واستحواذ على جيد الكلام[2]».

(١) مقدمة كتاب: «الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث» لابن كثير ـ تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر.
(٢) الأعرابيات: خليل مردم/ ٦.

الزمخشري يصف بلاغة الرسول عليه السلام:

ويصف الزمخشري بلاغة الرسول عليه السلام فيقول: «ثم إن هذا البيان العربي كأن الله عزت قدرته مخضه، وألقى زبدته على لسان محمد عليه أفضل صلاة، وأوفر سلام، فما من خطيب يقاومه إلا نكص متفكك الرِّجْل[1]، وما من مصقع يناهزه إلاّ رجع فارغ السَّجْل، وما قرن بمنطقه منطق إلاّ كان كالبَرْذون مع الحصان المطهّم، ولا وقع من كلامه شيء في كلام الناس إلاّ أشبه الوضَح في نُقْبة الأدهم. قال عليه السلام: أوتيت جوامع الكلم وقال: أنا أفصح العرب بيْدأني من قريش، واسترضعت في بني سعد بن بكر»[2].

وصف الجاحظ لبلاغة الرسول عليه السلام:

ويصف الجاحظ بلاغة الرسول عليه السلام فيقول: «هذا الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصَّنْعة، ونزه عن التكلف، استعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشيّ، ورغب عن الهجين السّوقيّ، فلم يتكلم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة، وسُدَّ بالتأييد، ويُسِّر بالتوفيق.

وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه،وغشاه بالقبول، وجمع بين المهابة والحلاوة وبينّ حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، وهو مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولازلت له قدم، ولابارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير، ولايلتمس إسكات الخصم إلاّ بما يعرفه الخصم، ولايحتج إلا بالصّدق، ولايطلب الفَلج إلا بالحق، ولايستعين بالخَلاَبة، ولايستعمل المواربة، ولايهمز ولايلمز، ولايبطيء ولايعجل، ولا يُسْهب ولايحصر. ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولاأصدق لفظًا، ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ»[3].

---

(١) كناية عن العيّ والعجز عن المقاومة.

(٢) من مقدمة الزمخشري لكتاب: الفائق في غريب الحديث.

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ٢ / ١٤ تحقيق السندوبي

الحديث الشريف والغريب:

كلمة الغريب فى حقل دراسات الحديث الشريف تعنى نوعين:

أ - غريب الحديث، وهو مُصْطلح فنىّ من مصطلحات: «علم مصطلحات الحديث الشريف» تحدّث عنه ابن الصّلاح فى مقدمته المشهورة فى علوم الحديث فى النوع الحادى والثلاثين بقوله :«الحديث الذى ينفرد به بعض الرّواة يوصف بالغريب. وكذلك الحديث الذى ينفرد فيه بعضهم بأمر لا يذكره فيه غيره إمآ فى متنه وإمّا فى إسناده[1].

ودرجة هذه الأحاديث الموصوفة بالغرائب ضعيفة فقد روى عن أحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه قال غير مّرة:«لاتكتبوا هذه الأحاديث الغرائب، فإنها مناكير ، وعامتها من الضعفاء»[2].

قال ابن الصلاح: وينقسم الغريب أيضاً من وجه آخر، فمنه ماهو غريب متناً وإسناداً ، وهوالحديث الذى تفر د برواية متنه راوٍ واحد.

ومنه ماهو غريب إسناداً لامتناً كالحديث الذى متنه معروف مرويّ عن جماعة من الصحابة إذا تفرد بعضهم بروايته عن صحابىٍّ آخر كان غريبا من ذلك الوجه مع أن متنه غير غريب»[3].

ب - غريب ألفاظ الحديث النبوى: وهو الغريب الذى يعنينا فى هذا البحث، لأن النوع الأول من الغريب مجاله دراسات علوم الحديث.

وليس ببدع أن يشتمل الحديث الشريف على غرائب لغويّة، وألفاظ تحتاج إلى كشف عن معانيها شأنه فى ذلك شأن غريب القرآن الكريم.

ونحن نعلم أن الرسول ﷺ عربى وأوتى جوامع الكلم، وملم بلغات العرب يتكلم مع كل قوم بلغتهم، ويشاركهم فى أحاديثهم، ويستمع إلى كلامهم من دون عناء فى فهمه أو صُعوبة فى كشفه.

---

(١) مقدمة ابن الصّلاح/ ١٣٦.
(٢) المصدر نفسه والصفحة.
(٣) المصدر نفسه والصفحة.

ولله درّ أبى سليمان الخطابىّ فقد أعطاناً صورة واضحة عن الغريب فى حديث رسول الله ﷺ أحب أن أعرضها على القارىء ليقف على حقيقة هذا الغريب فى ضوء الشرح والتحليل والتعليل.

قال رحمه الله :« ثم إن الغريب من الكلام على وجهين:

أحدهما : أن يراد به بعيدُ المعنى غامضه، لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر.

والوجه الآخر: أن يراد به كلام من بعدت به الدار، ونأى به المحلّ من شواذّ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربنا ها وإنما هى كلام القوم وبيانهم. وعلى هذا ماجاء عن بعضهم، وقال له قائل: أسألك عن حرف من الغريب، فقال: هو كلام القوم، إنما الغريب أنت وأمثالك من الدخلاء فيه».

ولم يكتف الخطابىّ بتعريف الغريب من الكلام بل أعطانا صورة أخرى علّل فيها كثرة الغريب فى حديث رسول الله ﷺ فيقول.

«إنه ﷺ بعث مبلغًا ومعلّماً ، فهو لايزال فى كل مقام يقومه وموطن يشهده يأمر بمعروف، وينهى عن منكر ، ويشرع فى حادثة، ويفتى فى نازلة، والأسماع إليه مصغية، والقلوب لما يرد عليها من قوله واعية.

وقد تختلف عنها عباراته، ويتكرّر فيها بيانه، ليكون أوقع للسامعين، وأقرب إلى فهم من كان منهم أقل فقهاً، وأقرب بالإسلام عهداً، وأولو الحفظ والإتقان من فقهاء الصحابة يُرعونها كلها سمعاً، ويستوفونها حفظاً، ويؤدّونها على اختلاف جهاتها، فيجتمع لذلك فى القضية الواحدة عدّة ألفاظ تحتها معنىً واحد، وذلك كقوله : «الولد للفراش» وللعاهر الحجر» وفى رواية أخرى :«وللعاهر الأثلب»[1] وقد مرّ بمسامعى ولم يثبت عندى: «وللعاهر الكُثكث» [2] .

(١) فى القاموس: الأثلب : التراب والحجارة، وكذلك الكثكث.

(٢) من كتاب : «غريب الحديث لأبى سليمان الخطابى مخطوط بالمكتبة السلمانية - نقلاً من مقدمة الزميل الدكتور محمود الطناحى لكتاب : «منال الطالب فى شرح طوال الغرائب».

ومجال الحديث عن غريب الحديث لاتتّسع له مساحة هذا البحث الموجز وقد نرجئه إلى بحث آخر إن شاء الله.

والذى يعنينى فى هذا البحث هو تفسيرغريب القران بحديث رسول الله ﷺ لتكمل المرحلة الثالثة من تفسير غريب القرآن الكريم.

غريب القرآن الكريم فى ضوء الحديث الشريف:

هناك مؤلفات عدة فى غريب الحديث نكتفى بذكر اثنين منها لهما شهرة فى حقل الغريب ، وهما : كتاب «الغريبين» للهروى، وكتاب «الفائق فى غريب الحديث » للزمخشرى.

كلا الكتابين تعرّض لبعض الألفاظ القرآنية الغريبة من خلال عرض ألفاظ الحديث النبوى.

وبالمقابلة بين لفظى القرآن الكريم ، والحديث النبوى تتضح معانى الألفاظ القرآنية ونظهر دلالتها، ويتبيّن المعنى المراد منها.

وسأتناول فى إيجاز تعريف هذين الكتابين،ومنهجهما فى عرض الغريب، ثم نختم هذا البحث بعرض نماذج لغريب القرآن الكريم المفسّر بألفاظ الحديث الشريف لتتجلى لنا صورة واضحة من صور الاستشهاد بالحديث لإزالة غرابة الكثير من الألفاظ القرآنية.

كتاب الغريبين للهروى:

وصف ابن الأثير كتاب الغريبين للهروىّ فقال: «فلما كان زمن أبى عبيد أحمد بن محمد الهروىّ صاحب الإمام أبى منصور الأزهرى اللغوى، وكان فى زمن الخطابى وبعده وفى طبقته صنف كتابه المشهور السائر فى الجمع بين غريبى القرآن العزيز والحديث، ورتبه مقفّى على حروف المعجم على وضع لم يسبق فى غريب القرآن والحديث إليه فاستخرج الكلمات اللغوية الغريبة من أماكنها وأثبتها فى حروفها وذكرمعانيها، إذ كان الغرض والمقصد من هذا التصنيف معرفة الكلمات الغريبة لغة وإعراباً ومعنىً. لامعرفة متون الأحاديث والآثار، وطرق أسانيدها، وأسماء رواتها، فإن ذلك علم مستقل بنفسه مشهور بين أهله».

إلى أن يقول: «فجاء كتابه جامعاً فى الحسن بين الإحاطة والوضع. فإذا أراد الإنسان كلمة غريبة وجدها فى حرفها بغير تعب إلاّ أنه جاء الحديث مفرقاً فى حروف كلماته حيث

كان هو المقصود والغرض، فانتشر كتابه بهذا التسهيل والتيسير فى البلاد والأمصار، وصار هو العمدة فى غريب الحديث والاثار»[1].

منهج الهروى فى كتابه:

إن تحقيق الغرض الذى حمل المؤلف على تأليف كتابه، والمنهج الذى ارتضاه لتحقيق هذه الغاية، والطريقة التى استنّها للوصول إلى هذا الهدف بينها فى مقدمة كتابه، وبذلك أغنانا عن تتبّع هذا المنهج من خلال دراستنا لهذا الكتاب: فقال:

«فإن اللغة العربية إنما يحتاج إليها لمعرفة غريبى القرآن، وأحاديث الرسول عليه السلام والصحابة والتابعين ، والكتب المؤلفة فيها جمّة وافرة، وفى كلّ منها فائدة، وجمعها متعب، وحفظها عن آخرها معجز، هذا والأعمار قصيرة، والعلوم كثيرة، والهمم ساقطة، والرغبات نائمة، والمستفيد مستعجل، والحفظ كليل، والحرص قليل فمتى اشتغل المرء بتحصيلها كلها بعدت عليه الشقة، وعظُمت الكلفة. وفات الوقت، واستولى الضجر.

وكنت أرجو أن يكون سبقنى إلى جمعهما، وضمّ كل شىء إلى لفقه منهما على ترتيب حسن ، واختصار كاف - سابق، فكفانى مؤونة التّدأب وصعوبة الطلب، فلم أجد أحداً عمل ذلك إلى غايتنا هذه، فاستخرت الله عزوجل وتقدس - فيه ، وسألته التوفيق له، ليكون تذكرة لنفسى مدى حياتى، وأثراً حسناً لى بعد وفاتى إن شاء الله، وبه الثقة».

ثم وضح منهجه بقوله: «وهو موضوع على نسق الحروف المعجمة نبدأ بالهمزة ، فنفيض بها على سائر الحروف حرفاً حرفا، ونعمل لكل حرف باباً، ونفتتح كل باب بالحرف الذى يكون أخره الهمزة ثم الباء، ثم التاءّ إلى اخر الحروف.. ليصير المفتش عن الحرف إلى إصابته من الكتاب بأهون سعى، وأحث طلب، وشرطى فيه الاختصار إلاّ إذا اختل «الكلام دونه»[2].

نماذج من تفسير غريب القران بالحديث الشريف:

١ - ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [3] أى فضّلك، يقال: له على أثرة أى فضل.

(١) مقدمة النهاية لابن الأثير ١/ ٨،٩.
(٢) من مقدمة الغريبين لأبى عبيد الهروى.
(٣) يوسف/ ٩١.

وفى الحديث «إنكم ستلقون بعدى أثرة» أى يستأثر عليكم، فيفضل غيركم نفسه عليكم فى الفيء»[1].

٢ - ﴿ أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾[2] . وقرىء: ﴿ أَوْ إِثَارَةٍ﴾ أى من علم مأثور ويقال : بقية من علم. والأثارة والأثر: البقية ، يقال : ما ثمّ عين ولا أثر.

وفى الحديث :«من سرّه أن يبسط له فى رزق، وينسأ فى أثره فليصل رحمه» [3].

٣ - ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ [4]، يقال : جاء بأمر إدٍّ، أى منكر عظيم. ومنه حديث علىّ. قال: رأيت النبى ﷺ فى المنام، فقلت : ما لقيت بعدك من الإدّ. والإدد : الدّواهى العظام واحدتها إدّة» [5].

٤ - ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [6]، أى سمعت سمع طاعة وقبول، وبه سميّت الأذن أذناً.

وفى الحديث: «ما أذن الله لشىء كإذنه لنبىّ يتغنى بالقرآن» يريد ما أستمع الله لشىء ، ولايشغله سمع عن سمع»[7].

٥- ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾[8] البعولة : جمع البَعْل. والرجل بعل المرأة، والمرأة بعلته، وقد بعل يبعل بعْلاً: إذا صار بعلاً.

وباعل مباعلة: إذا باشرها.

ومنه قوله عليه السلام لأيام التشريق :«إنها أيام أكل وشرب وبِعال»[9].

٦ - ﴿ تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾[10].

قال ابن عرفة: الجانّ : الحية الصغيرة.

وفى الحديث فى كَسْح زمزم. قال العباس: يارسول الله : إنّ فيهاجنّاناً كثيرة، يعنى حيّات، وهى جمع الجانّ.

---

(١) الغريبين ١ / ١٥
(٢) الأحقاق : ٤
(٣) الغريبين١/ ١٦/ ١٧
(٤) مريم/ ٨٩
(٥) الغريبين ٦/ ٢٩
(٧) الغريبين ١ / ٣٣.
(٦) الإنشقاق :٢
(٨) البقرة: /٢٢٨
(٩) الغريبين ١/ ١٨٧
(١٠) النمل / ١٠.

وفى حديث اخر «أنه نهى عن قتل الجنّان التى تكون فى البيوت»(١).

وهناك أمثلة متعددة فسرت فيها ألفاظ القرآن الكريم الغريبة بالحديث الشريف نكتفى بعرض النماذج السابقة منها. وننتقل الآن إلى الكتاب الآخر المشهور فى غريب الحديث وهو كتاب «الفائق» للزمخشرى.

كتاب «الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى»:

وكما أعطانا ابن الأثير فكرة واضحة عن كتاب «الغريبين» للهروىّ، فإنه لم ينس أن يعطينا أيضاً فكرة أخرى عن كتاب «الفائق» للزمخشرى ، فيقول:

«صنف كتابه المشهور فى غريب الحديث، وسمّاه:الفائق»، ولقد صادف هذا الاسم مسمّى، وكشف من كل غريب الحديث كل معمّى، ورتّبه على وضع اختاره مُقفّى على حروف المعجم، ولكن فى العثور على الحديث منه كلفة. ومشقّة.. إلى أن يقول :«فكان كتاب الهروى أقرب متناولاً، وأسهل مأخذا، وإن كانت كلماته متفرقة فى حروفها، وكان النفع، أتمّ ، والفائدة منه أعمّ»(٢).

بعد هذا الوصف الدقيق للفائق فى الغريب من ناحيتى الموضوع والمنهج أحب أن أقول فى هذا المقام: إن الفائق لم يهتم كثيراً بالألفاظ القرآنية الغريبة فى كل ما عرض له من أحاديث اللهم إلا بعض ألفاظ جاءت على سبيل الاستطراد، ولم تكن مقصودة فى منهجه الذى رسمه لنفسه فى هذا الكتاب وهو يتضح فى كشف معانى غريب الحديث مؤيدة بالشعر، وبالقول المأثور من كلام العرب.

فإذا جاءت ألفاظ قرآنية تحتوى على مادة غريب الحديث نفسها لم يشر إليها إلا لماماً ، ولم يفعل كما فعل الهروى حيث تتبع هذه الألفاظ الغريبة فى الحديث فى ضوء ألفاظ غريب القرآن الكريم ومن ها كان عنوان كتابه: «الغريبين» ، فكلاهما مقصود وتتبعهما مراد، وإجلاء حقيقتهما من المنهج.

على أن الزمخشرى فى منهجه يطمئن الباحثين والدارسين بأنه بذل كل ما فى جهده للوصول إلى حقيقة هذا الغريب معتمداً على : «فَسْر موضح» (٣) وكشف مفصح،اطلعت به عن حاقّ المعنى وفصّ الحقيقة اطّلاعاً مؤداه طمأنينة النفس ، وثلج الصدر، مع الاشتقاق

---

(١) الغريبين ١ / ٤١٣.

(٢) انظر مقدمة النهاية في غريب الحديث لابن الأثير.

(٣) الفسر: التفسير والبيان

غير المُستكره ، والتصريف غير المتعسّف، والإعراب المحقّق البصرى، الناظر فى نص سيبويه، وتقرير الفسوىّ [1] فأيّة نفس كريمة ونسمة زاكيّة، نوّر الله قلبها بالإيمان والإتقان مرّت على هذا التبيان والإتقان ، فلا يذهبنّ عليها أن تدعولى بأنه يجعله الله فى موازينى ثِقلاً ورُجْحاناً، ويثيبنى عليها رَوْحاً وريحاناً»[2].

أمّا الأمثلة القليلة من الألفاظ القرانية التى وردت على سبيل الاستطراد فى الفائق فإليك نماذج منها.

نماذج من غريب القرآن فى الفائق:

١ - فى الحديث : كانوا يتأمّون شرار ثمارهم فى الصدقة» أى يقصدون وفى قراءة عبدالله ﴿ولا تأمّموا الْخبيث﴾[3]

٢ - قال النبى ﷺ :«يخرج قوم من المدينة إلى العراق والشام يبسّون المدينة، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون».

البسّ: السوق والطرد، ويقال: بسّ القومَ عنك أى اطردهم. وبه فسّر قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾[4].

والمعنى : يسوقون بهائمهم سائرين» [5].

٣ - الرّوح هو القرآن لقوله تعالى :﴿ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[6].

خطب ﷺ فقال: تحابوا بذكر الله وبروحه [7].

٤ - قال تعالى :﴿لا مُعقّب لحُكْمه﴾[8]. أى لا أحد يتبع حكمه ردّا.

وقال عز وجل: ﴿ولّى مُدبِراً ولم يُعقّب﴾ [9] أى لم يتبع إدباره إقبالاً والتفاتًا.

وفى حديث أنس رضى الله عنه: أنه سئل عن التعقيب فى رمضان ، فأمرهم أن يصلوا فى البيوت. هو أن يصلوا عقب التراويح»[10].

---

(١) الفسوى: هو أبو على الفارسى
(٢) انظر مقدمة الفائق للزّمخشرى
(٣) البقرة / ٢٦٧، انظر الفائق ١/ ٥٩.
(٤) الواقعة: / ٥
(٥) الفائق ١/ ١٠٧
(٦) الشورى / ٥٢
(٧) الفائق ٢ / ٨٩
(٨) الرعد : ٤١
(٩) النمل/ ١٠.
(١٠) الفائق ٣/ ٣١

٥ - ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾[٢].

العنوة: القهر والذل

فى حديثه ﷺ: «عودوا المريض، وأطعموا الجائع، وفكُّوا العانى» [٣].

٦ - ﴿بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [٤] فيمن حرّك بأنه جمع :«قصَرة» وهو أصل الشجرة ومستعظمها، وأعناق الإبل، وأعناق النخل.

وفى الحديث: من كان له بالمدينة أصل فليتمسك به، ومن لم يكن له فليجعل له بها أصلاً ولو قَصَرَة»[٥].

٧ - قال النبى عليه السلام: «نحن بنو النضر بن كنانة لا نتقفَّى من أبينا ولا نقفوا أمنا. أى لانتهمهاولانقذفها، يقال: قفا فلان فلاناً: إذا قذفه بما ليس فيه.

ومنه قوله تعالى :﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [٦].

وبعد، فأرجو أن أكون قد قدمت للقارىء صورة واضحة عن أثر الحديث الشريف فى بيان غريب القرآن.

* * *

(١) ط / ١١١ (٢) الفائق ٣/ ٢١

(٣) المرسلات ٣٢ (٤) الفائق ٣/ ٢٢

(٥) الإسراء / ٣٦ وانظر الفائق ٣/ ٢١٤.

مصادر البحث ومراجعه

١ - الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر - المطبعة الشرفية.

٢ - الأعرابيات لخليل مردم: طبع مجمع اللغة العربية بدمشق.

٣- الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث - ابن كثير.

٤- البيان والتبيين - الجاحظ - مكتبة الخانجى.

٥ - تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة - نشر دار الكتاب العربى بيروت.

٦ - تقييد العلم للخطيب البغدادى - طبع دمشق.

٧ - الطبقات الكبرى لابن سعد - طبع ليدن.

٨ - علوم الحديث ومصطلحه - الدكتور صبحى الصالح- طبع دار العلم للملايين.

٩ - الغريبين للهروى - نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة.

١٠ - الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى . طبع عيسى الحلبى.

١١ - مقدمة ابن خلدون - طبع دار الشعب.

١٢ - مقدمة ابن الصلاح - منشورات دار الحكمة - دمشق.

١٣ - منال الطالب فى شرح طوال الضرائب - نشر مركز البحث العلمى بمكة المكرّمة.

* * *